إبراهيم عليه السلام وكلمات الابتلاء

د. أبوبكر القاضي

المجلس السادس: إذ جاء ربَّه بقلب سليم

abobakrelkady AboBakr Elkady
www.abobakrelkady.net KonnashatElkady

قال تعالى عن إبراهيم (عليه السلام):

{إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}[الصافات:٨٤].

جاء إبراهيم (عليه السلام) ربه بقلب سليم، أي سالم من الآفات، سالم من الشبهات والشهوات، وهذا هو سر الطريق.

سر الخُلة، سر المحبة، سر العبودية، سر الإمامة، سر الصلاح، سر الإصلاح، إصلاح الضمائر، إصلاح السرائر.

القلب السليم هو القلب الذي قد سلم من كل شرك يناقض التوحيد، ومن كل بدعة تناقض السنة، ومن كل هوى يناقض التجرد، ومن كل شهوة تناقض الإخلاص، ومن كل غفلة تناقض الذكر.

القلب السليم قلب موحد لله (عز وجل)، قلب متبع للوحي، لسنة النبي (صلى الله عليه وسلم)، كان من أتباع محمد (صلى الله عليه وسلم).

القلب السليم قلب ذاكر لله، مخلص لله، قلب متجرد لله.

هذا القلب السليم حري حين يُؤمَر أن يطيع، حين يُؤمَر أن يقول سمعنا وأطعنا، حين يبتلى بالكلمات الكونية كما ذكرنا يقول: "ولا نقول إلا ما يرضي ربنا".

فهو يرضى ويسلم لحكمة الله (عز وجل)، ويعلم أن قضاء الله خير حتى وإن كان مؤلمًا، "وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ"

أصل سلامة القلب هو سلامته من الشرك، سلامته من نجس الشرك، "إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ".

نجاستهم معنوية لنجاسة قلوبهم بالشرك وتعدد الآلهة أو الإلحاد، نسأل الله (عز وجل) العفو والعافية.

التوحيد هو الطهارة، التوحيد هو الحرية، التوحيد هو النور، التوحيد هو إشباع القلوب الظمأى الجوعى.

نعم، الله (تبارك وتعالى) يطعم القلوب كما يطعم الأبدان، هو يُطعِم ولا يُطعَم (تبارك وتعالى)، وقال: "يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أُطعمكم".

وهذا الإطعام ليس فقط للأبدان بل أيضًا للقلوب والأرواح، قال (صلى الله عليه وسلم): "إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني".

ولذلك أنت تجد أن القرآن طعام حقيقي للقلوب.

{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا}[الإسراء:٨٢].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ}[يونس:٥٧].

{قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}[يونس:٥٨].

فعلًا القرآن قوت، الوحي قوت للقلب، ولذلك النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "إن هذا القرآن مأدبة الله"، كأنها المائدة التي تأكل منها.

كذلك النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترُجة طعمها طيب وريحها طيب".

الذي يقرأ القرآن ويؤمن بالقرآن يصلح باطنه ويصلح ظاهره.

يكون صالحًا، يكون مصلحًا، يكون صاحب سمت.

هذا الذي يقويه على هذه الهداية أن يكون مهتد في نفسه هاد لغيره هو القرآن.

{أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[الأنعام:١٢٢].

إذًا القرآن يجعلك تحيا من الموت، تهتدي من الضلالة، ويكون لك نورًا تمشي به في الناس، لك أثر، لك وميض نور في القلوب، على كلماتك نور.

أنت تقول في طريقك إلى المسجد: "اللهم اجعل في قلبي نورا وفي بصري نورا وعلى لساني نورا وعن يميني نورا وعن شمالي نورا ومن فوقي نورا ومن تحتي نورا واجعل لي نورا واجعلني نورا".

هذا النور هو نور الطاعة.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}[الحديد:٢٨].

هكذا القرآن واتباع الرسول، والسنة شارحة ومفسرة ومبينة ومفصلة لما أُجْمِل في القرآن، ومؤكدة لما جاء في القرآن.

يهتدي به العبد ويستجلب به نور الله (عز وجل) في قلبه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "إن للحسنة نورًا في القلب، وضياء في الوجه، وقوة في البدن، وزيادة في الرزق، ومحبة في قلوب الخلق، وإن للسيئة سوادًا في الوجه، وظلمة في القلب، ووهنًا في البدن، ونقصًا في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق".

لذلك أنت ينبغي عليك أن تنظر أي القلبين أنت؟!

كما ذكرنا، قلبٌ مؤمن أم قلبٌ منافق؟!

قلب مع الزلزلة والابتلاءات يُخرج من قلبه وعلى لسانه إنا لله وإنا إليه راجعون ،أم أنه قلب يقول ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا.

يقول ما الذي يحدث لي؟!

لماذا يفعل الله بي كذلك؟!

نسأل الله (عز وجل) العفو والعافية...

القضية في القلب السليم.

{ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}[الصافات:٨٤].

جاء إبراهيم مُسلّمًا مستسلمًا لربه (عز وجل).

مستسلمًا لأمر ربه (عز وجل).

أيما كانت الكلمات، أيما كانت الأوامر، أيما كانت النواهي، حتى ولو أقرب قريب، حتى لو أحب حبيب.

الله أحب إليه من كل شيء، وآثر عنده من كل شيء، وهذه حقيقة التوحيد كما سيأتي...

التوحيد هو أن تتوجه إلى ربك (عزوجل)، أن تعلم أسمائه وصفاته وجماله وجلاله وكماله (عز وجل).

وأن تتوجه بكليتك، بكل طاقة قلبك وروحك ومشاعرك ووجدانك، ومن ثم سلوكياتك وأفعالك وأقوالك لله (عز وجل).

{قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

معالم التوحيد في حياة إبراهيم (عليه السلام)، معالم التفريد في حياة إبراهيم (عليه السلام)، كفاح إبراهيم (عليه السلام) لقيام دعوة التوحيد وأن تكون دعوة إبراهيم (عليه السلام)، دعاؤه، مناجاته وقصته وبناؤه للكعبة بيت الله (عز وجل) آية وعلامة وقيامًا لتوحيد الناس ولدين الناس.

أعظم قصة في التاريخ في الحقيقة بعد نبوة النبي وقصة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم).

في كيفية جَعْل الله (عز وجل) الإمامة في الدين؟

وكيف نسير على هذا الطريق؟

أوله القلب السليم، أوله مَعْلم التوحيد.

وذلك ما سنقف معه بالتفصيل بإذن الله (تبارك وتعالى) في الحلقات القادمة.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم....